بر الوالدين (٢)

عباد الله، مازلنا مع البر والإحسان للمسلمين، ولاسيما للرحم منهم، ونخص بالرحم الوالدين. وقد تكلمنا في الخطبة الماضية عن الإحسان والبر للوالدين ومعناهما وكيف يحثنا القرآن على هذا، وعلمنا أن الشرع قدم البر على الجهاد الكفائي، وجعل صاحب البر والإحسان من أهل الجنة في أعلى الدرجات، بعد أن يغفر له الكبائر ويزيل عنه الهم والغم في الدنيا، ثم تكلمنا عن العقوق وشؤم العقوق حتى إن الله لا ينظر إلى العاق يوم القيامة ولا يقبل منه صرفًا ولا عدلًا، وفي هذه الخطبة بإذن الله نستكمل هذا الأمر.

فليلاحظ وليراقب كل منا نفسه مع بر الوالدين حتى لو كان والديه قد ماتا، فلا يفعل ذنبًا يسيء به لوالديه بعد موتهما، يقول ﷺ: **(إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ)**[١].

نعم كما قلت لحضراتكم: كما أن البر يكفر الكبائر، فإن العقوق من الكبائر، بل من أكبر الكبائر، يقول ﷺ: **(أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلَاثًا؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ)**[٢].

قلنا عباد الله: إن البر يكون قبل الموت وكذلك البر أيضًا بعد الموت، أما البر بعد الموت فقد قال ﷺ: **(إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ؛ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)**[٣]، ذلك لأن الولد من كسب والديه، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ**

---

[١] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٥٩٧٣)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٩٠)، واللفظ للبخاري رحمه الله.

[٢] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٢٦٥٤)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٨٧).

[٣] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٦٣١).

بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ)[1]، وكذلك من البر بعد الموت صيام الأيام التي لم يصمها الوالدان قبل موتهما، لقول النبي ﷺ: **(مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ)**[2]، وكذلك من بر الوالدين بعد الموت أن تحج وتعتمر لهما إن كنت قد حججت واعتمرت عن نفسك.

وكذلك من بر الوالدين بعد موتهما أن تتصدق لهما، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: **(أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ رضي الله عنه أَخَا بَنِي سَاعِدَةَ تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمِّي تُوُفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا، فَهَلْ يَنْفَعُهَا شَيْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي أُشْهِدُكَ أَنَّ حَائِطِيَ الْمِخْرَافَ صَدَقَةٌ عَلَيْهَا)**[3]، وعَنْ أَبِي أُسَيْدٍ مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ السَّاعِدِيِّ قَالَ: **(بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ قَالَ: نَعَمْ، الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا)**[4].

وها هو ابن عمر رضي الله عنهما يبر والده بعد موته، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: **(أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً، كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ، فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ إِنَّهُمُ الْأَعْرَابُ، وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ)**[5].

وعَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ قال: **(قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَأَتَانِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، فقَالَ:**

---

[1] أخرجه ابن ماجه رحمه الله في سننه (٢٤٢)، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه (٢٤٢).

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (١٩٥٢)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١١٤٧).

[3] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٢٧٥٦).

[4] أخرجه أبو داود رحمه الله في سننه (٥١٤٢)، وحسنه ابن العربي رحمه الله في عارضة الأحوذي (٣٠٧/٤).

[5] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٥٥٢).

أَتَدْرِي لِمَ أَتَيْتُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصِلَ أَبَاهُ فِي قَبْرِهِ، فَلْيَصِلْ إِخْوَانَ أَبِيهِ بَعْدَهُ، وَإِنَّهُ كَانَ بَيْنَ أَبِي عُمَرَ وَبَيْنَ أَبِيكَ إِخَاءٌ وَوُدٌّ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَصِلَ ذَاكَ)[1].

وانظروا عباد الله إلى هؤلاء السادات في البر:

١. سيدنا إسماعيل: بلغ أعلى المنازل من البر والطاعة والصبر، وحسم الموقف في كلمات قليلة لما قال له أبوه: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات:١٠٢] ورؤيا الأنبياء حق ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات:١٠٢].

(فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلاَمَ، وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلاَمَ، وَيَقُولُ: غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ، الحَقِي بِأَهْلِكِ، فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَثْنَتْ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتِ: اللَّحْمُ، قَالَ: فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتِ: المَاءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالمَاءِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ، قَالَ: فَهُمَا لاَ يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ

[1] أخرجه ابن حبان رحمه الله في صحيحه (٤٣٢)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٩٦٠).

إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلاَمَ، وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ، قَالَ: فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلاَمَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي وَأَنْتِ العَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ)[1].

٢. **سيدنا إبراهيم:** بلغ مبلغًا عظيمًا في البر لأنه كان يدعو أباه إلى الجنة وأبوه يدعوه إلى النار، يدعو أباه إلى التوحيد وأبوه يدعوه إلى الشرك بغلظة وحدّة، وأما إبراهيم فكان يدعوه برفق ولين، كما ذكر ربنا ذلك في كتابه العزيز: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧﴾ [مريم: ٤١-٤٧].

٣. سيدنا عيسى: كان بارًا بأمه ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِهِۦ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارٗا عَصِيّٗا ١٤﴾ [مريم:١٤]، قال بعض السلف: (لَا تُجِدُ أَحَدًا عَاقًّا لِوَالِدَيْهِ إِلَّا وَجَدْتَهُ جَبَّارًا شَقِيًّا)[2].

٤. عَنْ زُرْعَةَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ: (أَنَّ رَجُلًا أَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ لِي أُمًّا بَلَغَهَا مِنَ الْكِبَرِ أَنَّهَا لَا تَقْضِي حَاجَةً إِلَّا وَظَهْرِي مَطِيَّةٌ لَهَا فَأُوطِيهَا وَأَصْرِفُ عَنْهَا

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٣٣٦٤).

[2] تفسير ابن كثير ت سلامة (٥/٢٣٠)، لابن كثير رحمه الله.

وَجْهِي، فَهَلْ أَدَّيْتُ حَقَّهَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَيْسَ بَعْدَ مَا حَمَلْتُهَا عَلَى ظَهْرِي، وَحَبَسْتُ عَلَيْهَا نَفْسِي؟ قَالَ: لَا، لِأَنَّهَا كَانَتْ تَصْنَعُ ذَلِكَ بِكَ وَهِيَ تَتَمَنَّى بَقَاءَكَ، وَأَنْتَ تَصْنَعُ ذَلِكَ بِهَا وَأَنْتَ تَتَمَنَّى فِرَاقَهَا)[1].

٥.(كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَرَأَى رَجُلًا يَطُوفُ حَامِلًا أُمَّهُ وَهُوَ يَقُولُ:

إِنِّي لَهَا بَعِيرُهَا الْمُذَلَّلُ ... إِنْ أَذْعَرَتْ رِكَابَهَا لَمْ أَذْعَرُ

أَحْمِلُهَا وَمَا حَمَلَتْنِي أَكْثَرُ

أَتَرَانِي يَا ابْنَ عُمَرَ جَزَيْتُهَا؟ قَالَ: لَا وَلَا زَفْرَةً وَاحِدَةً)[2]، وفي رواية: **(ولكنك أحسنت، والله يثيبك على القليل كثيرًا)**[3].

٦. يقول عثمان بن عفان رضي الله عنه: **(مَا قَدَرْتُ أَتَأَمَّلُ وَجْهَ أُمِّي مُنْذُ أَسْلَمْتُ)**[4]؛ لأن من الأدب معها أن تغض عنها بصرك وأنت واقف أمامها.

ويحكي أبو مُرَّةَ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه: **(إِذَا دَخَلَ أَرْضَهُ صَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: عَلَيْكِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ يَا أُمَّتَاهُ، تَقُولُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، يَقُولُ: رَحِمَكِ اللَّهُ رَبَّيْتِنِي صَغِيرًا، فَتَقُولُ: يَا بُنَيَّ، وَأَنْتَ فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا وَرَضِيَ عَنْكَ كَمَا بَرَرْتَنِي كَبِيرًا)**[5].

٧.وها هو أويس القرني: **(كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ، سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ، فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: يَأْتِي عَلَيْكُمْ**

---

[1] الجامع (٩٠)، لابن وهب رحمه الله.

[2] البر والصلة (٣٧)، للحسين بن حرب رحمه الله.

[3] عودة الحجاب (١٧٢/٢)، للشيخ محمد بن إسماعيل المقدم حفظه الله.

[4] التبصرة (١٩١/١)، لابن الجوزي رحمه الله.

[5] أخرجه البخاري رحمه الله في الأدب المفرد (١٤)، وحسن إسناده الألباني رحمه الله في صحيح الأدب المفرد (١١).

أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ، فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ، قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ)[1].

منع أويسًا من القدوم على النبي ﷺ بره بأمه، فلما بر أمه بر الله قسمه

٨. وها هو بشر الحافي يقول: **(الْوَلَدُ يَقْرُبُ مِنْ أُمِّهِ بِحَيْثُ يَسْمَعُ أُمَّهُ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالنَّظَرُ إِلَيْهَا أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ!)**[2].

علي بن الحسين: وقد ضرب المثل في بر بأمه، فقيل له: **(أنت من أبرّ الناس ولا نراك تؤاكل أمّك؟! قال: أخاف أن تسير يدي إلى ما قد سبقت عينها إليه، فأكون قد عققتها)**[3].

٩. سفيان بن عيينة يقول: **(قَدِمَ رجُلٌ مِنْ سَفَرٍ فَصَادَفَ أُمَّهُ قَائِمَةً تُصَلِّي، فَكَرِهَ أَنْ يَقْعُدَ وَهِيَ قَائِمَةٌ، فَعَلِمَتْ مَا أَرَادَ فَطَوَّلَتْ لِيُؤْجَرَ)**[4].

١٠. ابن عمر بن ذر: يقول عبد الله بن المبارك رحمه الله: **(وَبَلَغَنَا عَنْ عُمَرَ بْنِ ذَرٍّ: أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ ابْنُهُ، قِيلَ لَهُ: كَيْفَ كَانَ بِرُّهُ؟ قَالَ: مَا مَشَى مَعِي نَهَارًا قَطُّ إِلَّا كَانَ خَلْفِي، وَلَا لَيْلًا إِلَّا كَانَ أَمَامِي، وَلَا رَقَى عَلَى سَطْحٍ أَنَا تَحْتَهُ)**[5].

١١. وفي ابن عون: **(أَنَّهُ نَادَتْهُ أُمُّهُ، فَأَجَابَهَا، فَعَلَا صَوْتَهَا، فَأَعْتَقَ رَقَبَتَيْنِ)**[6].

١٢. الفضل بن يحيى: يقول المأمون الخليفة العباسي: **(لَمْ أَرَ أَبَرَّ مِنَ الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بِأَبِيهِ، بَلَغَ مِنْ بِرِّهِ بِأَبِيهِ: أَنَّ يَحْيَى كَانَ لَا يَتَوَضَّأُ إِلَّا بِالْمَاءِ الْحَارِّ، وَكَانَ فِي السِّجْنِ، فَمَنَعَهُمَا السَّجَّانُ مِنْ إِدْخَالِ الْحَطَبِ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ، فَقَامَ الْفَضْلُ حِينَ أَخَذَ يَحْيَى مَضْجَعَهُ إِلَى قُمْقُمٍ**

---

[1] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٥٤٢).

[2] التبصرة (١٩١/١)، لابن الجوزي رحمه الله.

[3] عيون الأخبار (١١١/٣)، للدينوري رحمه الله.

[4] مكارم الأخلاق (٢٣٢)، لابن أبي الدنيا رحمه الله.

[5] البر والصلة (٨٩)، لابن الجوزي رحمه الله.

[6] حلية الأولياء (٣٩/٣)، لأبي نعيم رحمه الله.

يُسَخِّنُ فِيهِ الْمَاءَ، فَمَلَأَهُ، ثُمَّ أَدْنَاهُ مِنْ نَارِ الْمِصْبَاحِ، فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا وَهُوَ فِي يَدِهِ حَتَّى أَصْبَحَ.

وَحَكَى غَيْرُ الْمَأْمُونِ: أَنَّ السَّجَّانَ فَطِنَ لِارْتِفَاقِهِ بِالْمِصْبَاحِ فِي تَغْيِيرِ الْمَاءِ، فَمَنَعَهُمْ مِنَ الِاسْتِصْبَاحِ فِي اللَّيْلَةِ الْقَابِلَةِ، فَعَمِدَ الْفَضْلُ إِلَى الْقُمْقُمِ مَمْلُوءًا فَأَخَذَهُ مَعَهُ فِي فِرَاشِهِ، وَأَلْصَقَهُ بِأَحْشَائِهِ حَتَّى أَصْبَحَ وَقَدْ فَتَرَ الْمَاءُ)[1].

١٣. قال كعب بن الأحبار رحمه الله: اجتمع ثلاثة عباد من بني إسرائيل فقالوا: تعالوا حتى يذكر كل إنسان منا أعظم ذنب عمله، فقال أحدهم (وهذا هو الشاهد): **(كانت لي والدة، فدعتني من قبل شمال الريح، فأجبتها، فلم تسمع، فجاءتني مغضبة، فجعلت ترميني بالحجارة، فأخذْتُ عصا، وجئت لأقعد بين يديها لتضربني بها، ففزعت مني، فأصابت وجهها شجرة فشجتها، فهذا أعظم ذنب عملته)**[2].

١٤. وكان ابن سيرين أبر الناس بأمه، فعن بعض آل سيرين يقول: **(مَا رَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ يُكَلِّمُ أُمَّهُ قَطُّ إِلَّا وَهُوَ يَتَضَرَّعُ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ عِنْدَ أُمِّهِ، فَقَالَ: مَا شَأْنُ مُحَمَّدٍ أَيَشْتَكِي شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا، وَلَكِنْ هَكَذَا يَكُونُ إِذَا كَانَ عِنْدَ أُمِّهِ)**[3].

١٥. (وكان طلق بن حبيب لا يمشي فوق ظهر بيت هي تحته إجلالا لها)[4].

١٦. ويحكي طاووس بن كيسان: **(كَانَ رَجُلٌ لَهُ أَرْبَعَةُ بَنِينَ، فَمَرِضَ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: إِمَّا أَنْ تُمَرِّضُوهُ وَلَيْسَ لَكُمْ مِنْ مِيرَاثِهِ شَيْءٌ، وَإِمَّا أَنْ أُمَرِّضَهُ وَلَيْسَ لِي مِنْ مِيرَاثِهِ شَيْءٌ، قَالُوا: مَرِّضْهُ وَلَيْسَ لَكَ مِنْ مِيرَاثِهِ شَيْءٌ، قَالَ: فَمَرَّضَهُ حَتَّى مَاتَ وَلَمْ يَأْخُذْ مِنْ مِيرَاثِهِ شَيْئًا، قَالَ: فَأُتِيَ فِي النَّوْمِ فَقِيلَ لَهُ: ائْتِ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا فَخُذْ مِنْهُ دِينَارًا، فَقَالَ: أَفِيهِ بَرَكَةٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَذَهَبَ فَأَخَذَهُ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ إِلَى السُّوقِ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ يَحْمِلُ حُوتَيْنِ،**

---

[1] البر والصلة (٩٠)، لابن الجوزي رحمه الله.

[2] بر الوالدين (٦)، لابن الجوزي رحمه الله.

[3] حلية الأولياء (٢/٢٧٣)، لأبي نعيم رحمه الله.

[4] بر الوالدين (ص ٧٨)، للطرطوشي رحمه الله.

فَقَالَ: بِكَمْ هُمَا؟ قَالَ: بِدِينَارٍ، قَالَ: فَأَخَذَهُمَا مِنْهُ بِدِينَارٍ ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِمَا، فَلَمَّا دَخَلَ بَيْتَهُ؛ شَقَّ بَطْنَهُمَا، فَوَجَدَ فِي بَطْنِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا دُرَّةً لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُمَا، قَالَ: فَبَعَثَ الْمَلِكُ يَطْلُبُ دُرَّةً يَشْتَرِيهَا، فَلَمْ تُوجَدْ إِلَّا عِنْدَهُ، فَبَاعَهَا بِوَقْرِ ثَلَاثِينَ بَغْلًا ذَهَبًا، فَلَمَّا رَآهَا الْمَلِكُ قَالَ: مَا تَصْلُحُ هَذِهِ إِلَّا بِأُخْتٍ، اطْلُبُوا أُخْتَهَا وَإِنْ أُضْعِفْتُمْ، قَالَ: فَجَاءُوهُ فَقَالُوا: أَعِنْدَكَ أُخْتُهَا وَنُعْطِيكَ ضِعْفَ مَا أَعْطَيْنَاكَ؟ قَالَ: وَتَفْعَلُونَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَأَعْطَاهُمْ إِيَّاهَا بِضِعْفِ مَا أَخَذُوا الْأُولَى)[1]**، فأغناه الله بسبب البر.**

١٧. يقول ابن المنكدر: **(بت أكبس رجل أبي، وبات آخر يصلي، ولا يسرني ليلته بليلتي)**[2].

١٨. ويحكي سليمان بن أيوب رحمه الله: **(أنه مكث عشر سنين يطلب العلم ويبتغي حفظ القرآن، يقول: ولم أحسن قراءة الفاتحة، فعز عليّ ذلك، وكان شيخي ييأس مني، فسألت أحد الصالحين، فقال لي: هل لك من أم؟ قال: نعم، قال: هل بار بها أنت؟ قال: أحسن البر يا سيدي وأتمه، فقال: اذهب إليها، ومرها تدعو لك بحفظ القرآن والفقه في الدين، ففعل، فقامت أمه في السحر فأحسنت وضوءها، وتناولت من سحورها، وعزمت على أن تصبح صائمة لله، ثم قامت تصلي وتدعو حتى طلع الفجر، فاستجاب الله لها، يقول: وكأنما عقلي كان عليه سحابة صيف، فأصبح من أقوى الناس حفظًا وأسرعهم فهمًا؛ وأصبح سليمان بن أيوب العالم).**

فانظر عبد الله إلى النعم التي بين أيدينا؛ بر الوالدين أحياءً وأمواتًا، ولكن للأسف الشديد تجد الناس قد غرقوا في الدنيا، فهذا مات أبواه ولم يتذكرهما إلا كل حين، وإذا دعا لهما؛ دعا لهما بقلب غافل.

---

[1] بتصرف من كتاب حلية الأولياء (٤/٧)، لأبي نعيم رحمه الله.

[2] المستطرف في كل فن مستظرف (٢٥٩)، للأبشيهي رحمه الله.

والطامة الكبرى في هؤلاء الذين لا يزال أبواهم على قيد الحياة أو أحدهما وهم في لهو الحياة وغفلة الدنيا منشغلون عن والديهم، وأشد منهم هؤلاء البائسين المساكين العاقين لآبائهم وأمهاتهم.

ولا أجد شيئًا أختم به هذه الخطبة إلا قول الله تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤]، وقوله ﷺ عن أبي هريرة: (**رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ**)[1]، أي خاب وخسر هذا البائس المسكين.

أقول لنا جميعًا فنحن بين عاقين ومقصرين:

فيا أيها المضيع لآكد الحقوق ... المعتاض عن بر الوالدين العقوق

الناسي لما يجب عليه ... الغافل عما بين يديه

تطلب الجنة بزعمك ... وهي تحت أقدام أمك

حملتك في بطنها تسع حجج ... وكابدت عند الوضع ما يذيب المهج

وأرضعتك من ثديها لبنًا ... وأطارت لأجلك وسَنًا

وغسلت بيمينها عنك الأذى ... وآثرتك على نفسها بالقذا

فإن أصابك مرض أو شكاية ... أظهرت من الأسف فوق النهاية

وأطالت الحزن والنحيب ... وبذلت مالها للطبيب

ولو خيرت بين حياتك وموتها ... لاختارت حياتك بأعلى صوتها

فنهاك مولاك عن التأفيف ... وعاتبك في حقها بعتاب لطيف

---

[1] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٥٥١).

فلما احتاجت عند الكبر إليك ... جعلتها من أهون الناس عليك

وقدمت عليها الأهل والأولاد بالإحسان ... وقابلت أياديها بالنسيان

وصعب عليك أمرها وهو يسير ... وطال عليك عمرها وهو قصير

هذا وعاملتها بسوء الخلق مرارًا ... فدعت لك بالتوفيق سرًا وجهارًا

وربما تكلمت معها بكلام حقير ... وهجرتها وما لها سواك نصير

وهذا طردها إلى دار المسنين ... بالله قولوا لي أنتم على أي دين

أبوذيّ أنت أم رافضيّ أم تعبد البقر ... ألا تخشى غدًا من نار لا تبقي ولا تذر

ستعاقب في دنياك بعقوبة البنين ... وفي أخراك بالبعد عن رب العالمين

يناديك بلسان التوبيخ والتهديد ... ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد

عباد الله؛ البر لا يبلى والذنب لا يُنسى والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان. هذا ومع كل هذا يقول مولاك: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر:٥٣].

فاستغفر لذنبك وارجع وبر والديك أحياءً كانوا أم أمواتًا وابك على خطيئتك.